(٢٣)

To: seerehwenfadha7et@yahoogroups.com
From: "seerehwenfadha7et"
Date: 16/7/2004
Subject: مغامرة لا تنسى

وحدهم الذين يقومون بالمجازفة، يمكن أن يكتشفوا إلى أي مدى يمكنهم البلوغ.

تي أس إليوت

إن الآيات والأحاديث والاقتباسات الدينية التي أُوردها في إيميلاتي تُلهمني، والمقولات المشهورة والأغاني التي تحتويها رسائلي تُلهمني أيضاً. فهل هذا تناقض كما يزعم البعض؟ هل أكذب وأدّعي أنني أحادية الهوى وبدائية التركيب؟! أنا كأي فتاة في سني، بل كأي إنسان في أي مكان! فرقي الوحيد عنهم أنني لا أتوارى ولا أحب السكوت ولا أستحي مما أنا عليه.

* * *

تعرفت لميس إلى شقيق صديقتها فاطمة عندما أوصلتها بسيارتها إلى محطة القطار في أحد الأيام. كان علي يكبرهما بأربعة أعوام،

ويدرس الطب أيضاً، إلا أنها لم تلتق به إلا ذلك اليوم أمام القطار المتجه إلى القطيف، وقرر أن يستقله هذا الأسبوع مع أخته لأن سيارته التي عادة ما يسافر بها معطلة.

كانت علاقة فاطمة بأخيها غريبة بالنسبة إلى لميس، فعلي يسكن مع أصدقائه في إحدى الشقق التي تُؤجَّر للطلاب القادمين من خارج الرياض، بينما تسكن أخته مع صديقاتها في شقة أخرى في سكن آخر. لم يكن يأتي لزيارتها كثيراً لأن كلاً منهما كان يفضل قضاء وقته مع أصحابه. كان هو يسافر في نهاية كل أسبوع بسيارته أو سيارة أي من زملائه المتجهين للقطيف بينما تسافر هي مع صديقاتها بواسطة القطار.

أعجبت لميس بعلي لطوله قبل كل شيء! كان معظم الشباب الذين تلتقيهم أقصر منها أو في مثل طولها الذي يبلغ مئة وستة وسبعين سنتيمتراً. كان طول علي لا يقل عن مئة وتسعين سنتيمتراً، وكانت سمرته الجذابة المشربة بحمرة وحاجباه الكثان، تُضفي عليه سحراً ورجولة طاغية.

التقت لميس بعلي بعد تعارفهما بأسبوع في المستشفى الذي توجهت إليه في ذلك اليوم مع فاطمة لشراء بعض المراجع، قبل أن ينتظمن فيه في السنوات القادمة. كثرت بعد ذلك لقاءاتهما في المستشفى ليشرح لها ما تستصعبه من دروس كبقية زميلاتها في الكلية اللواتي تستعين كل منهن بالطالب الذي تراه «مناسباً» ليساعدها على الفهم والاستيعاب، ثم صارت تلتقي به خارج المستشفى، في أحد المقاهي (الكافيهات) المنتشرة في كل مكان.

استمرت علاقة لميس بعلي لمدة شهور، لم تُطْلع فيها أياً من

صديقاتها عليها. وحدها فاطمة كانت تعلم عن طريق أخيها، إلا أنها كانت تتصرف أمام صديقتها كأنها لا تعلم شيئاً عما يدور بينهما، مع أنها كانت هي التي دبرت لقاءهما في محطة القطار ذلك اليوم نزولاً عند رغبة أخيها الذي أعجب بصورة لميس التي رآها في غرفة أخته في منزلهم بالقطيف. كانت الصورة ملتقطة للميس وفاطمة وبعض الزميلات وهن بالمعاطف الطبية البيضاء إلى جانب إحدى الجثث التي قمن بتشريحها في مشرحة كلية الطب للبنات بالملز، تلك المشرحة الكئيبة التي تختلط فيها رائحة الفورمالين والجثث المتحللة برائحة بخور رخيص.

كان علي في السنة الأخيرة من سنوات دراسة الطب البشري وكان عليه أن يبدأ التطبيق («الامتياز») بعد تخرجه مباشرة في أحد مستشفيات المنطقة الشرقية، أما لميس وفاطمة فكانتا لا تزالان في سنتهما الجامعية الثانية.

خلال أحد لقاءات لميس بعلي في أحد المقاهي في شارع الثلاثين، انقضت عليهما جوقة من رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محاطين بأفراد من الشرطة واقتادوهما بسرعة إلى سيارتين منفصلتين من نوع الجمس «الجي أم سي» توجهتا بهما نحو أقرب مركز للهيئة.

هناك تم أخذ كل من لميس وعلي في غرفة على حدة، وبدأ التحقيق معهما. لم تستطع لميس تحمل الأسئلة الجارحة التي وُجهت إليها. راحوا يسألونها عن تفاصيل علاقتها بعلي بفظاظة، ويُسمعونها كلمات تخجل من التلفظ بها أمام أقرب صديقاتها، فانهارت باكية بعد أن جاهدت ساعات لتبدو واثقة من نفسها ومقتنعة بفعلها الذي لا تعتقد

أن فيه ما يُشين. وفي الغرفة المجاورة كان المحقق يضغط على علي الذي فقد أعصابه أمام ادعاءات الرجل بأن لميس قد اعترفت بكل شيء وأن لا مجال أمامه للإنكار.

اتصل مسؤولو الهيئة بوالد لميس وأخبروه أنه قد تم ضبط ابنته مع شاب في أحد المقاهي وإيقافها في مركز الهيئة، وعليه أن يأتي لاستلامها بعد أن يوقع تعهداً بعدم تكرارها لهذا الفعل المخل بالآداب مرة أخرى.

جاء والدها مصفر الوجه. وقع التعهدات المطلوبة عن ابنته قبل أن يُسمح له باصطحابها للمنزل. في طريق عودتهما، حاول الأب كتم غيظه وتهدئة ابنته المنتحبة قدر المستطاع. وعدها ألا يخبر والدتها وأختها عما حصل، على ألا تعود للقاء زميلها هذا خارج مبنى الجامعة مرة ثانية. صحيح أنه يسمح لها بالخروج وحيدة مع أبناء عمومتها وأبناء أصدقائه وصديقات والدتها في جدة، ولكن جدة غير!

شعرت لميس بالشفقة على علي بعد أن سمعت الشرطي يهمس في أذن والدها في مبنى الهيئة أنهم اكتشفوا أن الفتى الذي كان معها من الرافضة، وأن عقابه سوف يكون أقسى بكثير من عقابها هي. لأول مرة تجد في الرياض اضطهاداً لفئة من المواطنين أكثر من اضطهادهم لأهل الحجاز!

انقطعت علاقة لميس بعلي منذ ذلك اليوم، كما انقطعت علاقتها بأخته فاطمة، التي استمرت تجحدها بنظرات حارقة كلما التقت عيناهما، كأنها تحمّلها مسؤولية ما حدث. مسكين علي. لقد كان شاباً لطيفاً، وبصراحة، لو لم يكن شيعياً، لكانت أحبته!